الصلاة

في أبعادها الفردية والاجتماعية

العلامة الشيخ
الدكتور عبد الهادي الفضلي

منشورات بيت الحكمة الثقافي

الصلاة

في أبعادها الفردية والاجتماعية

الصلاة

في أبعادها الفردية والاجتماعية

الدكتور عبد الهادي الفضلي

منشورات بيت الحكمة الثقافي

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

بإشراف لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي

منشورات بيت الحكمة الثقافي

القطيف ـ المملكة العربية السعودية


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأ الإنسان خطواته الأولى على هذه الأرض يعتاش من خيراتها ويتفيأ ظلالها ويساهم في إعمارها بخطوات بدائية متواضعة، أخذت مع تقادم الأزمان والسنوات بالتطوّر والتقدّم إلى أن وصلت إلى أساليب وأنماط حياتية متقدّمة جدًّا، استطاع الإنسان من خلالها أن يملك العديد من مكامن القوّة والسيطرة والنفوذ التي لم يكن يملكها سابقًا.

ومع تملّك الإنسان لهذه القدرة المذهلة والمتنوّعة، تتملّكه أيضًا حالٌ من الغرور والعُجب بالذات ما كان ليتملّكه فيما مضى، وهو الذي كان يعُدُّ كل ظاهرة كونية غير معتاد عليها حالاً من الإعجاز والخوارق التي تخفي وراءها أسرارًا غريبة وقوى غير قوى الطبيعة، بينما يملك اليوم تفسيرًا وتحليلاً علميًّا لكل تلك الظواهر التي استطاع أن يخفّف شيئًا من غلوائها وتداعياتها.

وهذه الحال من الغرور والعُجب كما تتملّك الإنسان المعاصر

بمعناه العامّ، تتملّك الإنسان في حالته الفردية أيضًا. فذلكم الإنسان الذي يبدأ خطواته الحياتية الأولى في تعرّف محيطه وتحليل مجريات ما حوله بصورة بدائية وطفولية، سرعان ما يصيبه نوعٌ من العجب بالذات عندما يبلغ درجة عالية في العلم أو المكانة الاجتماعية أو القوة الاقتصادية أو السياسية، وغيرها من المجالات.

وهي حالةٌ نفسية قد تكون مبرّرة، وبخاصّة عندما يبلغ ذلكم الإنسان درجة كبيرة من الأهمية. وهنا يأتي دور التشريعات والديانات الإلهية، حيث للإيمان بالله سبحانه ذلكم الأثر النفسي على الإنسان في أن يستشعر دائمًا وجود قوّة عليا وراء هذا الكون لا يستطيع الإنسان إلا أن يخضع ويستسلم لها، وأنها الأعلم بتفاصيل هذا الكون وأسراره، وأن الإنسان مهما بلغ من قدرة ومكانة لن يصل إلى تلكم القوة والنفوذ والسلطة والعظمة الإلهية غير المتناهية.

دور العبادة في تهذيب النفس وترويضها

ولكنّ الإنسان ـ بطبيعته ـ لا تردعه هذه الحال من الإيمان أو المعرفة بوجود الخالق والموجِد، فما لم يكن هناك نظام متكامل من الجزاء والحساب الإلهيين، بحيث يدرك الإنسان أن مصيره يتحدّد من خلال التزامه الدائم والمستمرّ في السرّ والعلن بما فُرِضَ عليه من أحكام وتشريعات، لن تردعه مجرّد المعرفة الذهنية التي لا تكفي لتصحيح ما قد يعوجّ من سلوك وما يعلق في النفس من شوائب.

ولكي يصل الإنسان إلى تلكم الحال من الروحية والنفسية العالية في تعامله مع بني نوعه وجنسه ومع جميع ما يحيط به، يحتاج إلى ما

يروّض هذه النفس لتعيش تلكم الدرجة من النقاء والصفاء النفسيين. ولذلك وضع الله في تشريعاته الإلهية العديد من الأحكام العبادية التي تعزّز ارتباط الإنسان بخالقه، وفي الوقت نفسه تساهم في تهذيب النفس وترويضها وتصفيتها مما علق بها من شوائب الماديات والأنانيات. ففي الوقت الذي تشدّ فيه المادةُ الإنسان إلى ذاته وتمحوره حولها، تساهم العبادات الإلهية في تعلّق الإنسان بالمطلق تعالى وتعلو به إلى مراقي الكمال وتسمو به إلى المراتب العلى. وبجانب ذلك، للعبادات دورها في تزكية النفس وتصفيتها، بحيث تبقى في الإنسان تلكم الحال الطاهرة النقية التي يرقّ فيها لأخيه الإنسان ويتحسّس آلامه ومعاناته، وتتعزّز لديه حالة الشوق الإلهي، ويتلذّذ بحالات المناجاة والدعاء والحديث مع البارئ جلّ وعلا.

وهذه جوانب تختزنها العبادات في الشريعة الإسلامية، وبجانبها العديد من الأبعاد التي تتكفّل الصفحات القادمة ببيان بعضها، مخصّصة الحديث حول فريضة الصلاة في الإسلام. حيث تمثّل صفحات الكتاب تحريرًا لمحاضرة ألقاها سماحة العلاّمة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي ﷳ بعنوان: «الآداب المعنوية للصلاة» ضمن البرنامج الرمضاني الثقافي بمدينة سيهات في الليلة التاسعة من شهر رمضان للعام ١٤١٤هـ الموافق ١٩/ ٢/ ١٩٩٤م. إذ قسّم فيها أبعاد الصلاة إلى قسمين، الفردية والاجتماعية، ممهّدًا لذلك بالإشارة إلى نبذة تاريخية عن عبادة الصلاة في التشريعات الإلهية وغير الإلهية.

وقد آثرنا ـ في «**لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي**»(*) ـ تحريرها بما يتلاءم ونمط الكتابة، إذ اقتضى ذلك تغييرًا وتصرُّفًا في بعض التعبيرات ووضع العناوين الرئيسة والفرعية وبعض الهوامش، لإعدادها ونشرها في كتاب مستقل. آملين أن تعمّ بها الفائدة، وسائلين المولى أن يتقبلها القبول الحسن وأن يكتبها في ميزان أعمال سماحة العلاّمة ـ رضوان الله عليه، وأن يوفقنا لنشر جميع مؤلّفاته وتراثه الفكري خدمةً لهذا الدين الحنيف الذي وطّن سماحته عمره في خدمته وبَذَلَ جلّ جهده وفاءً له.

لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي
٣٠/ ٦/ ١٤٣٤هـ
١٠/ ٥/ ٢٠١٣م

(*) يشارك في اللجنة التالية أسماؤهم: فؤاد عبد الهادي الفضلي، علي أحمد الأصيل، حسين منصور الشيخ، الشيخ أحمد عبد الجبّار السميّن.

القسم الأول

نص المحاضرة

- مفتتح
- تمهيد: تاريخ الصلاة في الشرائع الإلهية
- الفصل الأول: أثر الصلاة في بناء الشخصية الإسلامية
- الفصل الثاني: أثر الصلاة في بناء المجتمع المسلم

مفتتح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

الصلاة من أبرز شعائر الدين الإسلامي، وهي من المكانة بحيث لا يحتاج المسلم معها إلى استعراض ما ورد فيها من الثواب الذي وعد الله تعالى به المصلّين وما أعدّه لهم من الجزاء العظيم يوم القيامة. فهناك العديد من الآيات القرآنية والروايات الشريفة التي تشير إلى فضيلة الصلاة على بقية العبادات الأخرى وموقعيتها في التشريع الإسلامي، وهي من الكثرة ما تبلغ به حدّ التواتر والاستفاضة. وهي مبثوثة في الكتب والمدوّنات القديمة والحديثة، ويردّدها الخطباء والعلماء على مسامع الجمهور بين الفينة والأخرى.

ولوضوح هذه النقطة، أخصص الحديث عن آثار الصلاة ودورها في بناء الشخصية الإنسانية الفردية منها والاجتماعية. وذلك في محورين رئيسين، يتناول الأول منهما الآثار الفردية، فيما يتناول الآخر الآثار الاجتماعية، ممهدًا لذلك بالتأريخ لعبادة الصلاة، وذلك وفق الترتيب

التالي:

- التمهيد: تاريخ الصلاة في الشرائع الإلهية.
- **آثار الصلاة على شخصية المسلم:**
  - بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة.
  - أثر الصلاة في تصفية وتهدئة النفس.
  - أثر الصلاة في التوقيت والوقت.
- **آثار الصلاة على المجتمع المسلم:**
  - الصلاة شعار المجتمع المسلم.
  - دور الصلاة في بناء المجتمع.
  - مفعول الصلاة في الترابط الاجتماعي.

ولعل الإشارة إلى هذه العناوين أصبح مطلوبًا في ظل انفتاح العالم بأجمعه على دور التعاليم الأخلاقية الإسلامية في تقويم الفرد والمجتمع. ففي الوقت الذي تعيش فيه مجتمعاتنا آثار الحضارة الغربية وانبهارها بمعالمها وأنماطها الحياتية الحديثة، مبتعدين عن الكثير من القيم والتعاليم الدينية، وبخاصّة في مجال التشريع والتقنين الحديثين، يعترف الغرب بعدم قدرته على إيجاد تلكم الصيغة القانونية والتشريعية التي توازن في قوانينها بين الحاجات الإنسانية الملحّة في جوانبها المتعدّدة، وفي مقدّمتها الحاجات المعنوية. وهو ما تشير إليه الكثير من الدراسات الغربية وما تلمح إليه بعض مواقع القرار في تلكم الدول. وهي نقطة كان من بين مَن أثارها ولِي عهد بريطانيا الأمير تشارلز في محاضرة شهيرة له ألقاها بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م على مسرح شليدونيان بجامعة أوكسفورد لدى زيارته مركز أوكسفورد للدراسات

الإسلامية[١]، وكانت بعنوان «الإسلام والغرب»، حيث أكد فيها على إيمانه «بأن الروابط بين العالمين الغربي والإسلامى غدت اليوم أهم من أي وقت مضى؛ لأن وتيرة سوء التفاهم بينهما ما زالت مرتفعة إلى حدٍّ خطير، ولكن حاجتهما إلى التعاون والتعايش معًا، في عالم يزداد تكافلاً، لم تكن يومًا أكبر مما هي عليه اليوم»[٢].

وفي السياق ذاته، يقول: «إنَّ حُكمنا على الإسلام حكم خاطئ جدًّا؛ ذلك لأنه يَعْتَبِرُ الشاذَّ هو القاعدة، وهذا خطأ جسيم، فهو كالحكم على نوعية الحياة في بريطانيا من خلال حوادث القتل والاغتصاب وسوء معاملة الأطفال وإدمان المخدرات. إن التطرُّف موجود، ويجب علاجه. أما أن يستعمل أساسًا لإصدار حكم على مجتمع بأسره، فذلك يؤدي إلى التحريف والإجحاف»[٣].

وكان ذلك مقدّمة منه للإشارة لاحقًا إلى ضرورة الأخذ بقيم الإسلام الأخلاقية منها بالذات، وبخاصّة بعدما فشلت المؤسسة الكنسية في القيام بهذا الدور في المجتمع الغربي عامة، والبريطاني خاصة، فيقول في ذلك: «إن الإسلام قادر على أن يعلمنا اليوم أسلوب

(١) مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية (Oxford Centre for Islamic Studies) ـ اختصارًا: (OCIS) ـ هو مركز أبحاث تابع لجامعة أوكسفورد، أسس سنة ١٩٨٥م لتشجيع الدراسات الإسلامية، وراعي المركز هو الأمير تشارلز.

(٢) الأمير تشارلز يتحدّث، إعداد وتحرير: ديفيد كادمان، ترجمة: سهيل بشروني، دار الساقي ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٥٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٠.

التفاهم والحياة في هذا العالم الذي تفتقر إليه المسيحية؛ لأنها فقدته»[1]. ولمكانته وشخصيته، لاقت تصريحاته تلك انتشارًا وتغطية واسعة في الإعلام الغربي.

وهو ما دفع الكثير من المفكرين إلى التفكير بجدية إلى إقرار تدريس الأديان في المدارس الرسمية، لتكون وسيلة يسعون من خلالها إلى تهذيب السلوك الإنساني وفق تعاليم دينية فيها نوعٌ من الإلزام، وعلى رأس هذه الأديان: الدين الإسلامي، وذلك لانتشال الأجيال القادمة من أخطار الانحلال الأخلاقي والسلوكي الذي لا يمكن السيطرة عليه من خلال القوانين والدساتير المدنية الحالية.

وهو توجّه يثبت حاجة الإنسان ـ مهما بلغ من مستوى متقدّم في التشريع والتقنين ـ إلى إشباع الجانب الروحي لديه، حيث تمثّل العبادة ركيزة من أهم ركائز هذا الجانب المهمّ في شخصية الإنسان ونفسيته.

وهو ما ستتوضح بعض آثاره في بناء شخصية الإنسان والمجتمع فيما سنعرضه من عناوين فيما يليه من صفحات. أسأل الله أن تكون مفاتيح هدًى ورشاد وسبيلاً لمزيد من تعميق الرؤية في دراسة التشريع الإسلامي وبيانه بصورة أجلى وأقرب لروحه وقيمه السامية. والله تعالى ولي التوفيق، وهو الغاية.

الدكتور عبد الهادي الفضلي

(١) المصدر السابق، ص ١٧٥.

تمهيد

تاريخ الصلاة في الشرائع الإلهية

تعدّ الصلاة أقدم ظاهرة عبادية عرفها الإنسان، فهي بالإضافة إلى كونها جزءًا رئيسًا من الشريعة الإسلامية في جانبها العبادي، هي ـ كذلك ـ جزءٌ أساس من الشرائع الإلهية الأولى. بل تتعدّاها إلى الشرائع والأديان غير الإلهية أيضًا. فهي من المظاهر العبادية منذ أن بدأ الإنسان يمارس طقوسه الدينية على هذه البسيطة، وهو ما تشير إليه الدراسات الدينية المقارنة. حيث تحتفظ الديانات بطقوس عبادية معينة يمارس فيها المتديّن صلاته ودعاءه نحو المبدأ الذي يعتقد به، ولكن هذه الطقوس تختلف باختلاف الديانات وأماكن تواجدها وأزمنة ممارستها.

وهو أمرٌ يشير إليه القرآن الكريم الذي يعدّ أقدم وأصحّ وثيقة دينية وصلت إلينا. ذلك أن القرآن ـ بالإضافة إلى كونه كتاب دعوة وهداية للمسلمين، فيه الكثير من جوانب المعرفة الأخرى، وبخاصّة ما يرتبط بالجوانب التاريخية ذات العلاقة بتاريخ النبوات السابقة، حيث استعرضها القرآن وأشار إلى العديد من تفاصيلها التي لم تستعرضها المدونات التاريخية المعروفة، وذلك لكون بعض هذه الأحداث

والتفاصيل قد وقعت في مرحلة ما قبل التدوين التاريخي، ولذلك يعد القرآن الكريم المصدر الأول لهذه الأحداث والمعلومات.

ومن تلكم الظواهر التي رصدها القرآن الكريم بعض المظاهر الدينية التي تأتي الصلاة في مقدمتها، حيث تشير الآيات القرآنية إلى وجود الصلاة في الأديان الإلهية السابقة على الدين الإسلامي، ومعها الأديان غير الإلهية أيضًا، وذلك من قبيل الآيات التالية:

الصلاة في الأديان الإلهية

يقول تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾[1]، والآية تشير هنا إلى نبي الله زكريا عليه السلام الذي نزلت عليه الملائكة وهو في حال صلاته وعبادته. وهو ما يعني وجود هذه الظاهرة في الشريعة التي كان عليها نبي الله زكريا عليه السلام. ومما يركّز هذا المعنى أكثر أنَّ أداء النبي زكريا للصلاة كان فيما يعرف حينها بالمحراب، الذي يعني ـ هنا ـ المكان المخصّص لأداء الصلاة، حيث إن مصطلح المحراب لم يطلق على ذلكم التجويف الأسطواني المخصص لإمام الجماعة إلا في أواخر العهد الأموي، إذ يبدو أنه قد ظهر في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإلا فإن المحراب ـ لغةً ـ كان يعني وقت نزول القرآن ذلكم المكان المخصص للصلاة. وهو ما يؤكّده الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في معجمه العين، إذ يقول هناك: «والمحراب عند العامة اليوم: مقام الإمام في المسجد. وكانت محاريبُ بني إسرائيل مساجدَهم التي يجتمعون فيها للصلاة. والمحراب: الغرفة، قال امرؤ القيس:

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

[ومـاذا عليـه أن ذكـرتُ أوانِسًـا]   كغزلان رمل في محاريب أقيـال»[1]

وحينما تشير الآية الكريمة إلى تعبّد النبي زكريا في مكان مخصّص للصلاة، فإن ذلك يشير ـ من جانب آخر ـ إلى تركّز هذه العبادة حقبة من الزمن، بحيث أصبحت لها طقوسها وأماكنها الخاصّة، وأنها لم تكن وليدة تلك الشريعة التي يتعبّد بها النبي زكريا، وإنما ترجع إلى فترة زمنية طويلة نسبيًّا.

ويقول تعالى في آية أخرى في وصف نبي الله إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[2]، وما تشير إليه الآية الكريمة هو حثّ النبي إسماعيل عليه السلام أهله على أداء الصلاة، وهو ما يعني أنها كانت موجودة منذ شريعة أبيه النبي إبراهيم عليه السلام، إذ إن إسماعيل لم يكن نبيًّا صاحب شريعة خاصّة.

ونقرأ في وصية لقمان لابنه قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[3]، وهو ما يظهر بأنها كانت ظاهرة عبادية معروفة على مستوى اجتماعي يعرفه الصغير والكبير. فعندما يأمر لقمان ابنه بأدائها وهو لا يزال صغيرًا، فهذا إنما يدلّ على معرفة مسبقة لدى ابنه بهذه الظاهرة العبادية المنتشرة في مجتمعه حينها.

(١) معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ـ بغداد، ط ١٩٨٥م، ج٣/ ٢١٤، مادة: حرب.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٥.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧.

وفي آية رابعة، يقول تعالى حاكيًا عن قوم نبيه شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[1]، وهو ما يعني أن شعيبًا كان يتعبّد أمام ناظري قومه بأداء الصلاة، وإلى أنها كانت جزءًا من الشريعة الإلهية التي يتبعها النبي شعيب، لكونه ليس من الأنبياء أصحاب الشرائع، وإنما كان من أتباع شريعة النبي إبراهيم عليه السلام.

وما يُظهِر أن الصلاة كانت جزءًا من الشريعة الإبراهيمية ما يقوله تعالى ـ حاكيًا عنه عندما كان يشيد الكعبة مع ابنه إسماعيل: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[2]، حيث يطلب نبي الله إبراهيم عليه السلام في الآية أن يستمرّ في أدائه لهذه العبادة، ويدعو الله أن تحافظ ذريته على أدائها أيضًا. وهو دعاء يتكرّر في مناسبة وآية أخرى، يقول تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[3].

وأثناء الحديث عن حادثة ولادة نبي الله عيسى، تخبرنا الآيات الكريمة عمّا حدّث به قومه، فيقول تعالى: ﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[4]، وهو ما يعني وجود الصلاة في الديانة المسيحية كما هي مشرّعة في الرسالة الإسلامية.

(١) سورة هود، الآية: ٨٧.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.
(٤) سورة مريم، الآية: ٣١.

الصلاة في الأديان غير الإلهية

هذا فيما يتعلّق بالأديان الإلهية، وهناك من الآيات ما يشير إلى وجود الصلاة في الأديان غير الإلهية أيضًا، ومن هذه الآيات ما يتحدّث عن الحال العربية قبل الإسلام، إذ يقول تعالى واصفًا حال عرب الجاهلية: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[1]، وهو ما يشير إلى وجود صلاة وطريقة معينة في أداء الأدعية كان العرب يتعبّدون بها ولديهم بعض الطقوس التي يمارسونها.

وبالإضافة إلى هذه الآيات، هناك العديد من الروايات الشريفة التي تشير بوضوح إلى قدم عبادة الصلاة وترسخها في الحال الإنسانية المتديّنة منذ بدء الخليقة، وإلى يوم الناس هذا، سواء كان الدين إلهيًّا أم غير إلهي، كما يؤيّد هذه الآيات والروايات وجود دور العبادة في جميع المجتمعات البشرية القديمة والحديثة، وهي دور ومعابد أقيمت لأداء هذه الفريضة[2].

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٥.

(٢) انظر حول هذا الموضوع: مبادئ علم الفقه، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ج١/ ٥٧ ـ ٥٨.

الفصل الأول

أثر الصلاة في بناء الشخصية الإسلامية

- بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة
- أثر الصلاة في تصفية النفس وتهدئتها
- الصلاة: أعمق مظهر من مظاهر العبودية
- أثر الصلاة في التوقيت والوقت

شخصية الإنسان تتقوّم من خلال الإنماء الروحي والعقلي والبدني، وذلك بأن يعمل على تغذية روحه بجانب التغذية الفكرية ومعهما التغذية الجسدية والبدنية، وذلك لتتكامل هذه العناصر جميعًا في بناء الشخصية الإنسانية.

أداء الأحكام ودوره في رفع حالة الاطمئنان

قبل الحديث عن أثر الصلاة المباشر في بناء الشخصية الإنسانية، لا بدّ من الإشارة إلى نقطة مهمّة، وهي أن طبيعة النفس الإنسانية، بقدر ما هي طبيعة منتجة وخلاّقة مكّنت الإنسان من السيطرة على الكثير من مكامن الطبيعة، بل وتمكّنت من الوصول إلى ما هو أبعد من محيط الأرض التي تسكنها وسخر الله جميع خيراتها لهذا الإنسان، بقدر ما تملك هذه النفس من إمكانات غير محدودة، فهي نفس ضعيفة أمام الكثير من أسرار هذا الكون، ويكفي هذا الإنسان أن تتردّد على مسامعه الأخبار وتتناقل على ألسنة الناس الكثير من الأحاديث حول وجود يومٍ يحاسب فيه كل إنسان على ما اقترفته يداه في هذه الحياة، يكفي أنْ يستمع إلى هذا النوع من العقائد، لتمتلئ نفسه بالهواجس والمخاوف ـ

وإن لم يصدّق بوجود النبوات وعالم ما بعد الغيب. ولهذا، فإن من آثار الإيمان بالله على نفس الإنسان أن تعطيه ذلكم الاطمئنان النفسي الذي يخفّف مما قد يعتريه من هواجس وتوتر نفسي حول مصيره الأخروي.

وما يبعث على هذا النوع من الاطمئنان والراحة النفسية لدى المؤمن هو قيامه بأداء ما اؤتمن عليه من واجبات وأحكام شرعية، حيث تأتي الصلاة في مقدّمة تلكم العبادات الإسلامية التي متى ما أداها الإنسان على وجهها الأكمل، تبعث في نفس المسلم ذلكم الاطمئنان النفسي، حيث يشعر معها برضًى مما قام به من أداء ما فرضه الله عليه من عبادات وواجبات. يقول تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]، حيث هي إشارة واضحة إلى أن إقامة الصلاة من واجبات المؤمن وسماته، فمتى ما كانت من التزامات المسلم، كان أداؤها وقاية له وحاجبًا عن دخول النار يوم القيامة. والاطمئنان النفسي حول المصير والمستقبل الأخروي له أثره على النفس، ودافع للإنسان للعمل قدمًا دون الالتفات إلى ما قد يصيبه من توترات بسبب القلق والسؤال الدائم عن المصير.

خشوع المصلي وتعميق العلاقة الروحية

وما ذكر أعلاه، تشترك فيه مع الصلاة جميع العبادات والأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي، حيث يمثّل التزامها من المسلم ضمانة ووقاية من المصير السلبي الذي وعد به المخالفون، ولكن الصلاة لها

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

أثرها النفسي الواضح على شخصية الإنسان، نفيده من آيتين أخريين، هما قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1]، ففيهما إشارة بيّنة بأن من عوامل فلاح ونجاح الإنسان هو ما يتملّكه من خشوع أثناء الصلاة، ذلك أن ما يعيشه الإنسان من تذلّل إلى الله سبحانه، وما يولّده ذلك من سكينة نفسية داخل الإنسان يزوّد الإنسان بحالٍ من الاستقرار والراحة النفسية، وهي الحال التي من شأنها أن تنعكس على السلوك الخارجي للإنسان وفي طبيعة علاقاته بمحيطه.

وما يجعل للخشوع ذلكم الدور في تنمية الجانب الروحي لدى الإنسان أن الصلاة تتكرّر في اليوم خمس مرات على أقل تقدير، في حال لم يأتِ الإنسان ببعض النوافل اليومية. والصلاة في جوهرها علاقة بين الإنسان وخالقه، يبدأها المصلي بالاعتراف بعظمة الخالق عندما يبدأ صلاته بقوله: «الله أكبر»، حيث هي اعتراف بالعظمة التي هي أكبر من كلّ شيء، وهو ما يعني الاعتراف بالقدرة على كل شيء. لتستمرّ ـ بعد ذلك ـ الأذكار والأدعية والآيات القرآنية المعزّزة لذلكم الاعتراف والتعظيم من خلال ذكر الله تعالى وتعديد صفاته الجمالية والكمالية. وفي حال صَاحَبَ هذه الأذكار حالٌ من الخشوع والتذلّل النفسي لدى المصلي، فإن ذلك يساهم في تعميق العلاقة مع الله سبحانه وتنمية ذلكم الجانب الروحي في الإنسان بدرجة عالية.

يقول السيد محمد باقر الصدر حول هذه النقطة في رسالته العملية (الفتاوى الواضحة): «ويحسن بالمصلي حين يبدأ صلاته فيقول: «الله أكبر» أن يملأ ذهنه بمعطيات هذه الكلمة، فيتضاءل في نفسه كل ما

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ ـ ٢.

تمثّله الدنيا من آمال وأمجاد وقوى. وينبغي حين يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن يكون صادقًا مع ربّه، فلا يعبد هواه، ولا يستعين بغير مولاه»[1].

وما يدلّل على فاعلية الصلاة في تنمية الجانب الروحي لدى الإنسان ما يعيشه المتصوفة وأهل العرفان من حالٍ روحية عالية في حالات التأمّل الروحي الذي تتخلّله الأذكار العبادية المرتبطة بالله تعالى والتقرّب إليه، حيث تأتي تلاوة القرآن الكريم في مقدّم هذه الأذكار والتراتيل والأدعية التي يردّدها هؤلاء، ذلك أن حال الخشوع لله سبحانه تساهم في تصفية النفس الإنسانية مما علق بها من شوائب وأكدار جاءت نتيجة تفاعل الإنسان وتعلّقه بالأجواء المادية في هذه الحياة.

تنمية الجانب العقلي

ولا يقتصر دور الصلاة على تنمية الجانب الروحي، فلها دور في تنمية الجانب العقلي والفكري لدى الإنسان أيضًا؛ ذلك أن هناك الكثير من الروايات الشريفة التي تدعو المصلي إلى أن يشغل صلاته أثناء أدائه للأذكار والأفعال بالتفكّر في تلكم الأذكار والأوراد والآيات التي يردّدها أثناء الصلاة. كما أن هناك العديد من الروايات التي تجعل من التفكّر في السماوات والأرض جزءًا من التعقيب الذي يؤدّيه الإنسان بعد الصلاة مباشرة، ووفقًا لهذه الروايات أفتى مجموعة من الفقهاء

(١) الفتاوى الواضحة وفقًا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، السيد محمد باقر الصدر، المؤتمر العالمي للشهيد الصدر ـ قم، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ص ٥٥٤.

باستحباب التفكّر بعد الصلاة بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأدعية والآيات المأثورة والمعروفة. يقول السيد عبد الأعلى السبزواري في تعريفه للتعقيب: «وهو الاشتغال عقيب الصلاة بالدعاء أو الذكر أو التلاوة أو غيرها من الأفعال الحسنة، مثل: **التفكّر في عظمة الله ونحوه**، مثل: البكاء لخشية الله أو للرغبة إليه وغير ذلك. وهو من السنن الأكيدة، ومنافعه في الدين والدنيا كثيرة»[1].

وحينما يكون التأمّل والتدبّر فيما يقول المصلي ويتعبّد به وكذلك فيما يحيط به من مظاهر عظمة الله سبحانه جزءًا من روتينه اليومي، فذلك في جانبه الآخر يجعل ذهن الإنسان دائم التفكير والتدبُّر فيما حوله، فهذا التفكير يشغل عقل الإنسان وذهنه بصورة مستمرّة، وهو ما يشحذ آلة التفكير لديه ويجعلها أكثر حدّة ومهارة.

ومن جانب آخر، حينما تدعو النصوص الشرعية الإنسان إلى مزيد من حالات التأمّل في المعاني والأفكار حال الصلاة وعقيبها، فهي من ناحية أخرى تدعوه إلى أن تكون حال التدبّر والتأمّل صفةً ملازمة له في كل ما يرى ويتابع ويتلقّى في هذه الحياة، فليس من صفات المؤمن أن يكون مزدوج الشخصية، بحيث يكون متأمّل الفكر في الصلاة، فيما هو بليد الذهن غير مبالٍ في سائر شؤونه الحياتية الأخرى، بل يجب أن تكون تلكم الحال من الذهنية المتأملة المتفكّرة طبيعة للمسلم في جميع شؤونه وسلوكياته اليومية وتعامله مع الآخرين. فعندما يأمر الله تعالى الإنسان بأن يطيع والديه ويعاملهما بكل احترام، فهذا مؤشّر وباعث

(١) مهذّب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيد عبد الأعلى السبزواري، مكتب السيد السبزواري ـ قم، ط٤، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ج٧/ ١١١.

للمسلم أن يكون ذلك ديدنه في تعامله مع جميع من حوله، لا أن يقصر ذلك في دائرته الأسرية الضيّقة، فهذا ليس من الإسلام في شيء.

عندما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية، حرّك الكثير من عقول المجتمع العربي الذي كان يعيش حالاً من البدائية في حياته اليومية، حيث كان الجمود الذهني سمةً من سمات المجتمع آنذاك، فالبدو الرحّل الذين يعيشون حياتهم متنقلين بين البوادي والقفار، قلّما يعيشون تلكم الحال من التفكير والتأمّل الذي يساهم في النموّ المعرفي والفكري لديهم، بل كانوا يعيشون على قضايا موروثة تتناقلها الأجيال، دون تمحيص وتدقيق وتطوير أو نقد، ولذلك يواجهون دعوة رسول الله ﷺ إليهم بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾(١).

الدور المرجوّ من طلبة العلوم الدينية

ولتعزيز حال التأمّل في الصلاة، أدعو هنا إلى جهد يتحمّله بالدرجة الأولى طلبة العلوم الدينية، وذلك من خلال القيام بحملة توعوية بمعاني الصلاة، بدءًا من تكبيرة الإحرام، وليس انتهاءً بالتعقيبات المأثورة. وذلك ليعيش الإنسان تلكم المعاني أثناء أدائه للصلاة، وألاّ تكون الصلاة مجرّد طقوس عبادية تقتضيها العادة ومجاراة الآخرين دون وعي معقول لمعاني المفردات والأذكار التي يردّدها كل مصلٍّ خمس مرات في اليوم. ذلك أن الترديد غير الواعي لا يحقّق هدف

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

الصلاة المتمثّل في تعزيز حال التأمّل وذكر الله وبيان عظمته وعلوّ شأنه وتعميق علاقة الإنسان بخالقه، حيث هي الحال التي من شأنها خلق أجواء إيمانية تحفظ المجتمع ويعيش معها الإنسان في أجواء عبادية خاشعة.

وحول أهمية التدبّر أثناء الصلاة، يقول الميرزا الملكي التبريزي: «تفكَّرْ في معرفة الصلوات، لتكون عالمًا بما تدعوه وتطلبه من الله، ووفِّقْ بين قلبك ولسانك في ذلك، ليقع عن عناية ومعرفة، لا عن جهل ومجرّد لقلقة اللسان. إن أمكنك أن تعتقد بحقيقة قلبك بأن الصلاة معراج العبد وزيارة الربّ، لتعتقد أنها موجبة للفلاح، وأنها خير الأعمال، ولا ترضى إتيان أعمالها وأركانها بالصورة وأذكارها ومخاطباتها ومناجاتها بلقلقة اللسان، ويتأثّر قلبك وروحك من أفعالها، وقراءتها ومناجاتها وتكبيرها الذي هو المقصود الأصلي منها، بل هو وروحها وحقيقتها، فعند ذلك تحصل اللذّة من القراءة، والمناجاة ولطيف المخطابات، كما ورد في الأخبار»(١).

ثمّ يضيف: «يكفي في معرفة أن المقصود من الصلاة حقيقتها لا صورتها المجرّدة عن الحقيقة: الآيات والأخبار. ومن الأُولى قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾(٢)، فإن التعبير بالإقامة ما يلايم لحقيقة الصلاة، والتقييد بقوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ صريح بذلك. ومنها قوله تعالى:

(١) أسرار الصلاة، الميرزا جواد الملكي التبريزي، دار الكتاب الإسلامي ـ طهران، بدون تاريخ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.
(٢) سورة طه، الآية: ٢٠.

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[1]، والعلة لا تلائم بالصورة الخالية عن الحقيقة»[2].

إن مجتمعنا اليوم يعيش وفرة جيّدة من طلبة العلوم الدينية يمكنهم ـ من خلال التعاون على أداء هذا الدور ـ أن يساهموا في إيجاد أجواء عبادية وروحية يعيشها المصلي يوميًّا، يكسب من خلالها المزيد من الأجر والثواب، ويشاركه في ثوابه من أرشده إلى هذه المعاني، وهو طالب العلم. وبالإضافة إلى ذلك، تعدّ هذه من أبرز الوظائف الاجتماعية والدينية المطلوبة من طالب العلوم الدينية، بحيث لو لم يقم بها على الوجه المطلوب، سوف يحاسب على هذا التقصير أمام الله يوم القيامة وأمام الأجيال الآتية.

وما يدعو إلى هذا النوع من الحديث ما يلمسه المتابع من حاجة ماسّة إلى أن تُبنى شخصية الإنسان المسلم وفقًا لقيم ومبادئ الشريعة الإسلامية، وما لم يكن هناك تحرّك بمستوى المرحلة والحاجة الاجتماعية، سنكون سببًا لقدوم ثقافات وقيم دخيلة من شأنها أن تخلق أفرادًا ذوي شخصيات مشوّهة أو مزدوجة أو تائهة فيما يصلحها ويبني شخصيتها وفق الضوابط الصحيحة والسليمة. إن المسلم في حال وعى لمفردات ما يؤدّيه من أحكام وعبادات، كانت العبادة جزءًا من وعيه وفكره وليست مجرّد عادة يومية يؤديها دون تنبّه كافٍ لما يقوم به. إن العبادة بمفهومها الصحيح تخلق إنسانًا واعيًا مفكّرًا، يؤمن بحاكمية

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٦.

الإسلام في المجتمع، ويشكّل جزءًا من هويته الفكرية والنفسية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

يشرح السيد الصدر دور العبادة في بناء الشخصية الإنسانية المتزنة والواعية بقوله: «إن مشكلة الضياع تعني للإنسان أنه صيرورة مستمرّة تائهة لا تنتمي إلى مطلق يسند إليه الإنسان نفسه في مسيرته الشاقة الطويلة المدى، ويستمدّ من إطلاقه وشموله العون والمدد والرؤية الواضحة للهدف، ويربط من خلال ذلك المطلق حركته بالكون وبالوجود كله، وبالأزل والأبد، ويحدّد موقعه منه، وعلاقته بالإطار الكوني الشامل.

إن التحرّك الضائع بدون مطلق هو تحرّك عشوائي كريشة في مهبّ الريح، تنتقل بالعوامل من حولها ولا تؤثّر فيها، وما من إبداع وعطاء في مسيرة الإنسان الكبرى على مرّ التاريخ إلا وهو مرتبط بالاستناد إلى مطلق والالتحام معه في سيرٍ هادف»[1].

تنمية الجانب البدني

كما تنمّي الصلاة الجانبين الروحي والعقلي، لا يخفى دور الصلاة في تنمية الجانب البدني، وذلك لما تحويه من أفعال وحركات يمارسها الإنسان، بحيث تشكّل جزءًا من الرياضة البدنية للإنسان يقوم بها خمس مرات في اليوم. وهو جانب لا نحتاج إلى البرهنة عليه وإثباته؛ لوضوحه بشكل بارز وبيّن. وعندما نشير إلى هذه النقطة في أداء

(١) نظرة عامّة في العبادات، السيد محمد باقر الصدر، المؤتمر العالمي للسيد الصدر ـ قم، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ص ٧٥٣.

الصلاة، لا يعني ذلك أن يؤدّي الإنسان الصلاة وكأنها جزء من الرياضة البدنية للجسم، ولكنّ المقصود أن المصلي يفيد من صلاته في جوانب متعدّدة، ومنها الجانب البدني والرياضي.

وما تؤدّيه الصلاة في هذا الجانب أنها تعوّد الإنسان على دوام النشاط والحيوية في أدائه للأعمال، وهي نقطة يشير إليها الشيخ محسن قراءتي، فيقول: «إن العبادة الأكثر كمالاً هي التي يؤديها العبد بنشاط واندفاع واستمرار، وليس كما هو شأن المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، كما يصفهم القرآن. ولا كعبادة المذبذبين والمُشكّكين من مرضى القلوب التي تفتقد إلى العزم والمواصلة والإخلاص. إن العمل القليل المستمر خير من العمل الكثير المنقطع»[1].

(١) أسرار الصلاة: خاصّ بالشباب، الشيخ محسن قراءتي، ترجمة: حسن الحلي، بدون ناشر، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، ص ٢٨.

أثر الصلاة في تصفية النفس وتهدئتها

يمرّ الإنسان في حياته اليومية بالكثير من المواقف، ويشعر بالكثير من ضغوط الالتزامات الشخصية والأسرية والاجتماعية، وهو ما يشكّل نوعًا من الجهد النفسي اليومي، وما لم يتحلَّ الإنسان بصفتي الصبر والتحمّل في مواجهة هذه الضغوط، فإن أثرها على نفسه سيكون قويًّا ومدمّرًا في بعض الأحيان.

ولذلك فإن الصبر من صفات المسلم الحقّ، بل ومن صفات المؤمنين أو يوصي بعضهم بعضًا بهذه الصفة في حال وجدوا من يحتاج إلى من يدفعونه نحو مزيد من التحمّل، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[1]. كما أن الله سبحانه يوصي عباده المسلمين بأن يستعينوا بالصبر في قضاء أمورهم، وذلك أن الأمنيات لا تتحقّق بين يومٍ وليلة، ولكنها تحتاج من الإنسان إلى مزيد من الروية والتصبّر. وما يلفت في الأوامر والإرشادات الإلهية أن الله سبحانه يأمر عباده بالاستعانة بخُلُق الصبر وبفريضة الصلاة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

(١) سورة العصر، الآية: ٣.

﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، والآيتان هنا تأمر المؤمنين بالاستعانة بالصبر، وهو أمر قد يدرك معناه بيسر وسهولة، ذلك أن الإنسان في حال كان لديه هدف معيّن وأراد أن يصل إليه أو كان يمرّ بضائقة ويريد تجاوزها، عليه أن يتحلى بالصبر ليصل إلى ذلك الهدف ولتجاوز تلكم الضائقة.

وما قد يغيب عن الإنسان أن للعبادات دورها المهم في تجاوز الإنسان للكثير من المحن والضوائق. ولبيان ذلك، أمهّد بمثال من واقع الحياة اليومية، حيث إن الإنسان عندما يمرّ بلحظات من الغضب والهيجان النفسي، يوصيه علماء النفس بمجموعة من الممارسات التي قد تخفف من الانفعال غير الواعي الذي يتملّكه، ومن ذلك أن يقوم بتغيير الوضعية التي هو عليها، فإذا كان واقفًا، يَجْلِس، وإذا كان جالسًا يَقِفْ. إن تغيير الوضعية من شأنه أن يخفّف كثيرًا من حال الغضب والثورة التي تتملّك الإنسان في تلكم اللحظات. وهذا ما يُشاهَد بصورة تلقائية، إذ مما يقوم به الإنسان الغاضب في بعض الأحيان ـ لينفّس عن غضبه ـ أن يرفع ما تقع عليه عيناه ويلقيه بعيدًا أو يقوم بضربه وتحطيمه، وذلك من أجل تنفيس ما بداخله من موجة غضبية عالية.

وهو ما ينطبق على الصلاة، فالصلاة ـ لاشتمالها على مجموعة من الحركات والأفعال ـ يكون لها فعلها وأثرها في نفس الإنسان والتخفيف

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

من حال الألم أو الغضب التي قد تتملّكه في بعض اللحظات، وبخاصّة عندما يضاف إلى تلكم الحركات ما تشتمل عليه الصلاة من أذكار ترافق جميع حركات الصلاة وسكناتها، وذكر الله سبحانه ـ كما تشير آية أخرى ـ له وقعه على النفس، إذ يقول تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١). ذلك أن المسلم يستشعر عظمة الله دائمًا وأن الله قادر على إعانته والانتصار له، وأن مقاليد الأمور ومفاتيحها هي دائمًا بيد الله. ولذلك عندما يذكر اسم الله، تنفتح أسارير الإنسان ونفسه بصورة طبيعية وتلقائية، وبخاصّة مع ما تورثه الثقافة والمبادئ الإسلامية من دورٍ في تعزيز هذه الحال في نفس كل مسلم.

يشير السيد فضل الله إلى هذه النقطة، فيقول: «قد يواجه الإنسان في حياته العملية ضغوط الشهوة، التي تلحّ عليه فيما يشبه الحريق الداخلي، كي يستسلم لنداء الغريزة، ويترك نداء الله.. وقد يقع تحت ضغط الطمع الذي يدعوه إلى أن يترك إيمانه ومبادئه للحصول على مال أو جاه، وقد يواجه الضغوط الخارجية التي تقتحم حياته لتهدّد وجوده، فيستسلم لتأثيراتها المنحرفة بعيدًا عن خطّ الله، فكيف يواجه ذلك كله؟!

إن هذه الآية تستثير في الإنسان إيمانه بالله من خلال الوسائل العملية للإيمان، ليثبت الإنسان على خطّ الحق في المنحدر الخطر، ويتحدّث الله تعالى عن وسيلتين، هما: الصبر، والصلاة.

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

...، أما الصلاة، فهي معراج المؤمن إلى ربّه، تعرج فيها روحه وضميره وقلبه وفكره. فتلتقي بالله في لحظات ابتهال وانفتاح، وتتصل بالمعاني الكبيرة الممتدّة في رحاب الله. إن الإنسان إذا اتّصل قلبه بالله، انفتحت روحه على أخلاقه العظيمة التي أرادنا أن نتخلّق بها في الحياة؛ ومتى تحقّق للإنسان هذا الانفتاح، وعاش في هذه الأجواء الفسيحة، انخفض عنده مستوى الاهتمام بالقضايا الصغيرة، وعندها لن تثير في نفسه أيّ شيء مما اعتاد الناس أن يستثيروا به وجدانهم وحياتهم»[١].

ومما يذكر في هذا المجال أن «الفلاسفة اليونانية كانوا إذا دهمتهم نازلة يذهبون الى قبر (أرسطا طاليس) المنطقي وشيخ الفلاسفة والمعلم الأول لهم؛ لحصول المدد والفيض من قبره»[٢]، وذلك لما تسكن الإنسان حينها من حالِ السكينة والوقار حيث تصفو النفس فيهتدي إلى حلّ تلكم المسألة العلمية وما يلابسها من عقد ومشكلات. وما يولّد هذه الحال من الطمأنينة لدى الإنسان ما يُشعره موت الإنسان من تعلّق روحي وصفاء نفسي في نفس كل إنسان.

ولذلك، فإنه بعيدًا عن فتاوى التكفير والشرك والخروج من الإسلام إلى دوائر الشرك والضلال والبدع، كان هناك حثٌّ من أئمة أهل البيت عليهم السلام على زيارة القبور، وذلك لما فيها من تعزيز للحسّ الوجداني والعاطفي عند الإنسان، وبخاصّة عندما يكون لصاحب

---

(١) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك ـ بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ج٢/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، الدكتور شمس الدين الأفغاني، دار الصيمعي ـ الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، ج٣/ ١٥٨٦ ـ ١٥٨٧.

القبر مكانة ورمزية مبدئية، كما هي الحال مع الأنبياء والأئمة عليهم السلام، حيث تتملّك الإنسان في تلكم الحال ـ أثناء وقوفه على قبورهم ـ حالٌ من الروحانية العالية التي يشعر معها بحال من الاطمئنان النفسي، ويخالط ذلكم الاطمئنان نوعٌ من التعلّق الوجداني بما يمثّله هذا النبي أو ذلكم الإمام من قضية مبدئية وعقيدة دينية يتمثّلها ويتبعها ذلكم الواقف.

يشير الشيخ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان إلى هذه النقطة أثناء حديثه عن الآثار الإسلامية المقدّسة في مكّة المكرّمة ودورها في ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفس المسلم: «مكة المكرمة مهد الإسلام، ومبعث النور، ومنطلق خاتمة الرسالات، شرفت بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم، واحتضنت كبار صحابته الكرام على أرضها المباركة. شهدت عرصاتها ومرابعها ملحمة الصراع بين الحق والباطل، وزكت تربتها بالدماء الزكية، دماء الشهداء. في كل شعب منها وزاوية وبقعة أثر خالد ومنار مضيء، يحكى قصصًا من جهادهم، وأمثلة من كفاحهم، تظل وقائعه حية في نفوس الأجيال المسلمة سماعًا **ومشاهدة، تكتحل بها نواظرهم، وتتردد على أسماعهم مآثرهم، ترسخ بها معاني الإيمان، وتتقوى بها عزائمهم، وتتجدد بها هممهم لنشر العقيدة السليمة والمبادئ والقيم الصحيحة، يستنطقون من خلالها السيرة والمسيرة. والآثارُ القائمةُ أمجاد التاريخ الإسلامي في مراحله المبكرة ليبعث حيًّا في النفوس**»[1].

(١) الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة: عرضٌ وتحليل، الشيخ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، مؤسسة الفرقان الإسلامي ـ لندن، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ص ١١.

إن هذه الحال من الروحانية والتعلّق بالمبدأ لا تنفك عن المسلم أثناء صلاته حينما يردّد تلكم الأذكار والآيات القرآنية المليئة بذكر الله وتمجيده وتحميده وتسبيحه.

الصلاة: أعمق مظاهر العبودية

لا يؤدي المسلم في أي طقسٍ من طقوسه العبادية ما يؤديه في فرض الصلاة من الأذكار والأدعية وتلاوة آيات القرآن الكريم. ذلك أن عماد الصلاة إنما هو تلكم الأفعال التي تتخلّلها الآيات القرآنية ومعها الأذكار والأدعية المأثورة التي هي في مجملها ذكر لله سبحانه بالشكر والحمد والتسبيح والثناء، ومعها ذكر النبي ﷺ بالصلاة عليه وعلى آله الطاهرين. وهو ما يجعل الصلاة اعترافًا دائمًا بالعبودية لله سبحانه صاحب تلكم المكانة الحاضرة مع هذه الأذكار والآيات الشريفة. ولعلّ ما يعمّق هذه الحال من عبودية الإنسان لله سبحانه في الصلاة ما يتخلّلها من حالتي ركوع وسجود، فهما من أعظم مظاهر اعتراف العبد بخالقه وتعظيمه له.

فذلكم الإنسان الذي يعفّر جبينه بالتراب تاليًا لتلكم الأذكار العبادية لله سبحانه، حيث يشير فيها ـ حينما يقول المصلي: «سبحان ربّي الأعلى» ـ إلى إيمانه بعلوّ وسموّ الذات الإلهية، وهو في تلكم الحال من التذلّل وإظهار الخشوع. إنه في هذه الحال يمثّل حالةً ومظهرًا يعبر فيها المصلي بصورة متكرّرة عن خضوعه التامّ والكامل لله سبحانه. ولذلك ورد في الروايات الشريفة وعلى لسان المعصومين عليهم السلام: «الصلاة قربان

كل تقي»[١]، ذلك أن القربان ما يقدّمه الإنسان من أضحية إلى الله سبحانه طلبًا للعفو والمغفرة، ليتقبّله الله بعد ذلك دليل غفران منه وتوبة على ذلكم المضحي والمتقرّب إليه. والصلاة بأفعالها وأذكارها العبادية تلك، لا شكّ هي ما يتقرّب به كل عبد إلى الله سبحانه، طالبًا العفو والمغفرة، لتكون شفيعه أمام الله سبحانه يوم القيامة.

وهو ما تؤكّده الرواية النبوية الشريفة: «الصلاة خيرُ موضوعٍ»[٢]، وهو ما يعني أن الصلاة خير ما وضعت من أحكام وتشريعات للمسلم. فهي شرّعت لخير الإنسان وصلاحه في الدنيا والآخرة، فالله سبحانه لا بخل في ساحته، بل هي ساحة الكرم والعطاء غير المحدود، فمن يخلص له في عبادته وصلاته هو موعود بالثواب والأجر العظيم.

(١) هي مما ورد عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار المعرفة ـ بيروت، بدون تاريخ، ج٤/ ٣٤. وأوردها الكليني في الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم، ط٥، ١٣٦٣هـ. ش، ج٣/ ٢٦٥، عن الإمام الرضا، حيث وردت مسندة بالسند التالي: أبو داود، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

(٢) انظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المعرفة ـ بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص ٣٣٣؛ وعوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: الحاج آغا مجتبى العراقي، تقديم: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، سيد الشهداء ـ قم، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ج١/ ٩٠.

أثر الصلاة في التوقيت والوقت

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾(١).
إن ما تشير إليه الآية الكريمة بأن للصلاة أوقاتًا محدّدة وموقّتة بتوقيت معروف ومعيّن، وهي الأوقات التي تفصلها الآية الكريمة الأخرى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا﴾(٢)، حيث توزّع أوقات الصلاة إلى ثلاثة، هي: دلوك الشمس، بمعنى: زوالها، وهو وقت الظهرين. وغسق الليل، بمعنى: إقبال ظلمته، وهو وقت العشاءين. وقرآن الفجر، بمعنى صلاة الصبح. وهو ما يوافق ما تذهب إليه الإمامية من تحديد أوقات الصلوات الخمس في أوقات ثلاثة، ويعضّده أيضًا السيرة النبوية، سواءً بما يرويه أهل البيت أو ما يرويه الصحابة ويعتمده إخواننا أهل السنة في مصادرهم الحديثية، حيث تذكر المصادر الحديثية جمع النبي ﷺ لصلاتي الظهر والعصر وصلاتي المغرب والعشاء في غير سفر ولا مطر.

يقول الشيخ أبو علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في مجمعه: «يمكن

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

الاستدلال بالآية على أن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس، الذي هو الزوال إلى غسق الليل، وقتًا للصلوات الأربع، إلا أن الظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال إلى الغروب، والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب إلى الغسق، وأفرد صلاة الفجر بالذكر في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾. ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان أوقاتها. ويؤيّد ذلك ما رواه العياشي بإسناده عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية، قال: (إن الله افترض أربع صلوات وأول وقتها من زوال الشمس إلى انتصاف الليل، إلا أن هذه قبل هذه)»[(١)].

إن التزام المسلم بهذه الصلوات في أوقاتها التفصيلية تلك، يعوّده على تقسيم وقته، وعدم أداء الأعمال على نحو من الفوضى والاتفاق العشوائي، وبخاصّة إذا تنبهنا إلى نقطة مهمّة، وهي أن المسلم لا يجب أن يعيش ازدواجية المعايير والأجواء، كما سبقت الإشارة إلى ذلك أعلاه، فيكون محافظًا على وقت الصلاة، فيما هو لا يدير بالاً للوقت فيما يتعلّق بالأمور الأخرى. وهو يحترم أوقات الصلاة، فيما لا يحترم الآخرين ويقدّر أوقاتهم. على المسلم أن يدرك أن في كثير من العبادات مؤشرات لعادات صحية وحسنة عليه تلقفها واتباعها في حياته اليومية، وعلى أقلّ تقدير أن يجد فيما يلتزمه من الناحية الشرعية ترغيبًا فيها، فحينما يرغّبه الشارع إلى أهمية المحافظة على الوقت في أداء الصلاة، فذلك ترغيب إلى المحافظة على توقيت الأمور وتنظيمها في بقية شؤونه الحياتية، وحينما يرغّبه الشارع ويوجب عليه الوضوء وغسل بعض

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى ـ بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، ج٦/ ٢١٥.

أجزاء جسمه، فذلك ترغيب من الشارع إلى النظافة والاهتمام بغسل البدن والمحافظة على النظافة دائمًا، وهكذا.

إن المسلم في أدائه الصلاة يمارس يوميًّا برنامجًا متكاملاً، له وقته المحدّد والاستعداد المناسب والخاتمة المناسبة، «فالعبادة الأفضل هو العبادة المؤدّاة على ضوء برنامج مستمرّ ومنهاج منتظم ومبرمج. وقد حثّت الروايات الشريفة على تقسيم الوقت وتنظيم العمل بالشكل الذي لا يكون في الجانب العبادي إفراط أو تفريط»[١].

إن التفات المسلم إلى هذه التفاصيل في أداء الصلاة يفيده في حياته اليومية، فالصلاة برنامج يوميّ له حيثيته الخاصّة التي يمكن للمسلم أن يفيد منها في أداء برامجه فيما يتعلّق بمسائل الوقت وترتيب الأولويات. ذلك أن من بين أهم ما يدرس في علم الإدارة وتنظيم العمل هو تحديد الأولويات، وهو أمر يظهر في تحديد الشرع المقدّس لما هو واجب وما هو دون الواجب في العبادات. فالصلاة منها الواجب، كالفرائض اليومية، ومنها المستحب، كالنوافل اليومية.

وقد أمر الشرع المسلم بأنه ـ في حال كان مطلوبًا بأداء الصلاة المفروضة ومعها الإتيان بالنافلة ـ أن تقدّم الفريضة من حيث أولوية التطبيق والأداء؛ وذلك باعتبار وجوبها واستحباب النافلة. وهي إلفاتة مهمّة للمسلم بأنه في حياته اليومية هناك واجبات يجب على الإنسان القيام، وذلك لخطورتها ومكانتها، فيما هناك من الأعمال ما يستحب الإتيان، وعلى الإنسان أن يوازن بين الواجبات من المهام، وبين ما هو

(١) أسرار الصلاة، الشيخ محسن قراءتي، مصدر سابق، ص ٢٦.

مستحبّ ولا يصل إلى درجة الضرورة. وهذا من الدروس المهمّة فيما يتعلّق بفن الإدارة وتنظيم العمل[1].

(١) انظر: أسرار الصلاة، الشيخ محسن قراءتي، مصدر سابق، ص ٢٦ ـ ٢٧.

الفصل الثاني

أثر الصلاة في بناء المجتمع المسلم

- الصلاة شعار المجتمع المسلم
- دور الصلاة في تحصين المجتمع سلوكيًّا
- دور الصلاة في الترابط الاجتماعي

الصلاة شعار المجتمع المسلم

مما تعرف به شخصية أي مجتمع في الوقت الراهن ما يتميّز به من مبانٍ وأسلوب في عمارة المنازل والأماكن العامة. وكانت دور العبادة ـ ولا تزال ـ من أبرز ما يعرف به أي مجتمع، فدور العبادة التي تحتوي على مجموعة من تماثيل بوذا ـ مثلاً ـ دلالة على تعبّد المجتمع بالديانة البوذية، وذلك المجتمع التي تتوزّع بين مبانيه الكنائس، وتسمع بين الفينة والأخرى أجراسها، فهي دلالة على مسيحية أبنائه.

وطالما كانت المساجد دلالة بارزة على إسلام أبناء تلكم المجتمعات التي تحتضنها. وهو ما يتوافق والإرشاد والتوجيه الإلهيين اللذين نفيدهما من الآية الكريمة: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1]. فالذين يمكنهم الله تعالى من بسط السلطة والسيطرة على مجموعة من المجتمعات الإنسانية وفقًا لمبادئ الشريعة الإسلامية يكون من شعاراتهم ومظاهر الحكم في بلادهم إقامة الصلاة وأن تكون شعارًا من أبرز شعاراتهم. ذلك أن إشهار الصلاة لأن تكون من مظاهر المجتمع، ينمي فيه روح الالتزام بأداء العبادات الإلهية، وفي

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

مقدمتها الصلاة، وذلك لما لها من دور في تحصين المجتمع وتنميته وفق مبادئ وروح الدين الإسلامي الحنيف.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي شارحًا الآية الكريمة: «إن من ينصرهم الله على أعدائهم لا يلهون ويلعبون كالجبابرة بعد انتصارهم، ولا يأخذها الكبر والغرور، إنما يرون النصر سلَّمًا لارتقاء الفرد والجماعة. إنهم لا يتحولون إلى طاغوت جديد بعد وصولهم إلى السلطة، وذلك لارتباطهم القوي بالله. ذلك أن الصلاة رمز هذا الارتباط بالخالق، فيما الزكاة رمز للالتحام مع الخلق، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعامتان قويتان لبناء مجتمع سليم. وهذه الصفات الأربع تكفى لتعريف هؤلاء الأفراد، ففى ظلها تتم ممارسة سائر العبادات والأعمال الصالحة، وترسم بذلك خصائص المجتمع المؤمن المتطور»[1].

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة ـ بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ج١٠/ ٣٦٠.

دور الصلاة في تحصين المجتمع سلوكيًّا

تمّت الإشارة أعلاه إلى أن هناك خللاً في تعليم الصلاة في المجتمعات الإسلامية، وأن على عالم الدين أن يقوم بدور فاعل في تصحيح هذا الخلل، وذلك من خلال بيان معاني مفردات الأذكار في الصلاة، وما توحيه تلكم الأفعال العبادية التي يؤديها المسلم بصورة يومية. ذلك أن المصلي في حال تدبّر هذه المعاني مع ما يصاحبها من استشعار الخشوع والتذلّل لله تعالى، من شأن ذلك أن يكون رادعًا ومهذبًا للسلوك الفردي، وهو ما ينعكس تاليًا على المجتمع بصورة عامّة. وهو ما يفاد من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]

إن المسلم حينما يؤدّي صلاته إنما من باب تأكيد العلاقة بينه وبين الله تعالى كلّ يوم، وفي تأكيد العلاقة هذه يستشعر عظمة الله وقدرته وحاجته إليه في كل لحظة وفي كل موقف. ومن تتأكد لديه هذه العلاقة، من المعيب ـ أخلاقيًّا ـ أن يقوم بعملٍ ما يخلّ بها ويشوّشها، وهو ما يشكّل رادعًا ذاتيًّا لدى الإنسان، يمنعه من ارتكاب الفواحش

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

والمحرّمات ومنكرات الأفعال.

إن الأخ الأكبر عندما يخبر أخاه الصغير بأن عملاً مّا لا يجب أن يؤديه لأنه قد لا يرضى عنه والداه ـ مثلاً، تراه يبتعد عنه، خوفًا من علمهما بما فعل فيغضبان عليه أو يعاقبانه على فعلته تلك. فكيف بذلك الإنسان الذي يدرك بأن الله يراقبه في كل لحظة وفي كل مكان ولا يستطيع أن يغيب عن ناظريه، بل هو ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[1]. ولهذا فإن الآية الكريمة تؤكّد حقيقة لها واقعها في نفس كل مصلٍّ يتلقّى الصلاة ويؤدّيها بوجهها الصحيح. ولهذا يتحمّل طالب العلوم الدينية مسؤولية كبيرة في هذا الجانب. ذلك أن المجتمع ككل من مسؤوليات المسلم بوجه عام، ويتحمّل طالب العلم مسؤولية خاصّة في هذا المجال، ذلك أن تعليم المسائل الشرعية، وفي مقدمتها الصلاة، كما هي في روحها الإسلامية، هي من وظيفة طالب العلم، يحاسبه الله يوم القيامة فيما لو قصّر أو أساء في القيام بهذه الوظيفة.

يعلّق السيد فضل الله على هذه النقطة، فيقول: «من المشاكل التي تواجه العبادة وكل حركية الإنسان في عمله هو أن يتحوّل العمل أو العبادة ـ نتيجة التكرار ـ إلى روتين، فالروتين يقتل الحيوية في الشيء ويحوله إلى حالة جامدة لا تنبض فيها الفكرة، ولذلك كان التوجيه الإسلامي إلى أن يعيش الإنسان عبادته من خلال أن يستعيد في نفسه روحانية العبادة وأن يتوجّه إلى الله وأن يخشع إلى الله. ولذلك فلا بدّ للإنسان عندما يريد أن يمارس هذه العبادات والعادات الخيرية أن

---

(١) سورة طه، الآية: ٧.

يمارسها بحيث يجدد فيها هذه الحيوية. فعندما يمارسها عليه أن يفكّر في صلاته وأن يفكر في صومه وأن يفكّر في حجّه وأن ينفُذَ إلى كلّ كلمة يقولها ليتأملها وإلى كل عمل يعمله ليدرس طبيعته وعلاقته بحياته، وأن يدرس الأهداف المرجوّة منه، وهكذا يكون مصليًا واعيًا من خلال وعي الصلاة ووعي الصوم»[1].

ثمّ يضيف: «إننا نرى الكثير من الناس يؤكّدون على طريقة النطق في الكلمة وأن يكون النطق فيها سليمًا، بحيث يضيع عندهم وعي الكلمة، وللأسف فإن الواقع الذي عشناه جمّد معاني العبادة في نفوسنا، ألا تلاحظون أن التربية العبادية هي أفعال أمر: افعل كذا، وكن دقيقًا في النطق وفي انحناء الركوع والسجود وهكذا.. ونحن لا نقول بأن هذه أمور غير ضرورية، ولكننا ـ في المقابل ـ لا نرى أحدًا ـ في الغالب ـ حتى في الوعظ العبادي يقول للمصلي: إن عليك وأنت تركع أن تستحضر كذا، وعليك وأنت تسجد أن تستذكر كذا أو أن تعيش هذا الوعي حتى تعطي للعبادة روحها»[2].

(١) الندوة: سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق، السيد محمد حسين فضل الله، إعداد: عادل القاضي، دار الملاك ـ بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٨م، ج١/ ٦٤٦.
(٢) المصدر السابق، ج١/ ٦٤٧.

دور الصلاة في الترابط الاجتماعي

تعد صلاة الجماعة من المستحبّات المؤكّدة، حيث ورد فيها العديد من الروايات الشريفة، بل وتعدّ من أبرز مظاهر المجتمع المسلم. وفي مستوًى أعلى، تعدّ من وظائف الدولة الإسلامية، إذ تقع على الحاكم الشرعي مسؤولية حث المجتمع المسلم على أداء هذه الفريضة والقيام بها خير قيام، وتبعًا لذلك تقع عليه مسؤولية بناء المساجد وتشييدها والمحافظة على أجوائها العبادية.

ولعلّه غير خافٍ حكمة هذا التشريع الإلهي، حيث تساهم الصلاة ـ بالإضافة إلى دورها الأساس في تهذيب النفس الإنسانية ـ في مظهرها الجماعي في تنمية الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، إذ تعد وسيلة للتلاحم والتلاقي الاجتماعي اليومي بين المصلين.

وهي إرشاد إلهي للمسلم بأهمية الحضور الاجتماعي والتلاقي اليومي مع أفراد مجتمعه. فالمسلم في حال تعوّد على حضور الجماعة بصورة يومية، عادة ما تدفعه هذه الحال نحو التفاعل مع الحدث الاجتماعي لحظةً بلحظة ومسألة مسألةً. ما يدفعه تاليًا نحو العمل الجماعي الذي يمثّل جانبًا ومظهرًا من مظاهر الوحدة والتكافل

الاجتماعيين. ومما يؤسف عليه أن يغيب هذا المعنى في مجتمعاتنا، إذ إن من أبرز أمراض المجتمعات المسلمة اليوم: ضعف العمل الجماعي وحضور العمل الفردي، وهو بخلاف الإرشاد الإلهي الداعي إلى التعاون على البرّ والتقوى والعمل دائمًا بروح الجماعة الواحدة. لقد تقدّمت الدول الغربية على كثير من المجتمعات بفضل ما تتمتّع به من تراكم وتقدّم في العمل الجماعي، إنهم يأخذون ـ وبكل أسف ـ بالتعاليم الإسلامية وبروحها الفاضلة، فيما تغيب هذه الروح عن المجتمعات المسلمة.

يشير السيد الصدر إلى هذا المعنى، فيقول: «شرّعت صلاة الجماعة التي تتحوّل فيها العبادة الفردية إلى عبادة جماعية، تتوثّق فيها عرى الجماعة، وتترسّخ صِلاَتُها الروحية من خلال توحّدها في الممارسة العبادية»[1].

ويتوسّع الشيخ حسن الصفار في بيان فوائد الصلاة الاجتماعية، فيشير إلى ثلاثٍ منها، ويقول: «لصلاة الجماعة فوائد جمّة في حياة المسلمين، منها:

تعزيز الحالة الدينية

حينما يحضر المسلمون في المسجد ويصلون مع بعضهم البعض، تتعزّز الحالة الدينية في نفس كل واحد منهم وتتقوّى، فمن طبيعة الإنسان عندما يرى كثرة من الناس تمارس عملاً معيّنًا، يعطيه ذلك

(١) نظرة عامة في العبادات، مصدر سابق، ص ٧٧٨.

دافعًا للقيام بهذا العمل الذي يجد الآخرين يقبلون عليه، فالعمل الجمعي له وقع وقيمة في النفوس. وبما أن صلاة الجماعة هي في الأصل أداء للواجب والتكليف الشرعي، ومظهر من مظاهر التديّن، فتعزيزها تعزيز للحالة الدينية الاجتماعية. وهذا ما أشار إليه الإمام علي الرضا عليه السلام بقوله: (إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلاّ ظاهرًا مكشوفًا مشهورًا؛ لأن في إظهاره حجّة على أهل الشرق والغرب)[1].

التداخل بين اتصال العبد بالله وصلته بالناس

فالمصلي عندما يأتي للجماعة في المسجد، ينوي الصلاة مخلصًا لله سبحانه، ولكنه يؤديها مع جماعة المؤمنين، وهذا ما يؤكّد ـ وبشكل جليّ ـ أن للدين بعدين: البعد العبادي المتعلّق بالصلة بالله تعالى، والبعد الاجتماعي المتعلّق بعمق العلاقة بين الفرد وبني مجتمعه.

توثيق الروابط الاجتماعية

ففي صلاة الجماعة يلتقي المؤمنون ويتعرّف بعضهم إلى بعض، وتكون فرصة للتلاقي اليومي، وتبادل الأحاديث عن الأوضاع الاجتماعية، كما يعيش المصلون حينما يقفون خلف إمام واحد وبجانب بعضهم بعضًا حالةً من المساواة وانعدام الطبقية بين مختلف فئاتهم وشرائحهم، وهو أمر يعزّز التوادّ والمحبة بين الناس.

(١) في هامشه: وسائل الشيعة، ج٨/ ٢٨٧، حديث ١٠٦٨٣.

التربية على النظام

صلاة الجماعة تربّي الإنسان على النظام والانضباط الجماعي، فإذا واظب المصلي على الجماعة، فسينضبط في أداء الصلاة في وقتها، وعلى العكس من ذلك الصلاة فرادى، حيث لا يكون هناك أي ملزِم لأدائها في وقتها.

وفي الجماعة تعويد على النظام، حيث يكبّر المأمومون بعد الإمام، ويؤدون جميع أفعال الصلاة بعده، ويقفون صفوفًا منتظمة متراصّة.

التوجيه والمعرفة الدينية

توفّر صلاة الجماعة فرصةً جيدة للتوجيه والمعرفة الدينية، حيث يستفيد المصلون من حضورهم للصلاة، باستماع الخطب والمواعظ الدينية، وعرض أسئلتهم واستفتاءاتهم الدينية على إمام الجماعة، إذا كان من أهل المعرفة والعلم»[1].

■ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ■

(١) صلاة الجماعة: بحث فقهي اجتماعي، الشيخ حسن موسى الصفار، دار المحجة البيضاء ـ بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، ص ١٩ ـ ٢٠.

القسم الثاني

أسئلة المحاضرة

- تشتّت الذهن أثناء الصلاة
- تحديد أوقات الصلوات اعتمادًا على النص القرآني
- صلاة جار المسجد جماعة
- أثر تأخير الصلاة عن وقتها

تشتّت الذهن أثناء الصلاة

■ نستقبل القبلة لأداء الصلاة، وإذا بشريط حافل بالأحداث والخيالات يأخذنا شرقًا وغربًا، يحمل بين طياته مزيجًا عجيبًا من الهموم اليومية الاجتماعية والعائلية والدراسية في بعض الأحيان، وقد لا ينتهي هذا الشريط إلا عند قولنا: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، فهل من حلّ للخلاص من هذه الحال التي تفسد صلاتنا، وهل من بديل يلازم أفعال الصلاة قيامًا وركوعًا وسجودًا يؤدي إلى مزيد من الخشوع يكلّل صلاتنا بالقبول؟

□ هذا يرجع عادةً إلى أن الإنسان تلقّى الصلاة تلقينًا، حيث أخذها عن أحد والديه. والوالدان ليسا من العلماء أو العرفاء، فهما من عامّة الناس وجمهورهم، وقد أخذا الصلاة عن والديهما بالطريقة التي نقلاها إلى أبنائهم. فالمصلي في هذه الحال يقوم ويركع ويسجد ويردّد الأذكار والأدعية والآيات دون وعي وفهم لما يفعل، وإنما يردّدها أداءً للواجب واتقاءً من النار، وهو دافع ذاتي جيّد نحو الصلاة. ولكن على

المصلي أن يسعى لرفع هذه الحال من تشتّت الذهن أثناء الصلاة وتركيز الانتباه في معاني الصلاة وأذكارها. ولتحقيق ذلك، يحتاج المجتمع إلى دور طالب العلم للقيام بتثقيف الجمهور بمعاني الصلاة وآدابها، فإذا كانت هذه المعاني حاضرة في ذهنه ونفسه، فإنها تساعد المصلي على تدبرها وحضورها أثناء قيامه بأداء الواجب.

وهذا هو دور الجمهور أن يحضّ طالب العلم للقيام بدوره بحيث يعطي من وقته ما يلزم للقيام بهذا الواجب الملقى عليه، فذلك له من المردود النفسي على الإنسان كما أن له أثره الكبير على المجتمع.

■ **يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾[1]، ما معنى ﴿سَاهُونَ﴾ في الآية الكريمة؟**

□ السهو بمعنى الغفلة هنا، والآية في مقام ذمّ أولئك الذين يؤدّون الفريضة دون أن يكون لأدائها أي أثر على أنفسهم وسلوكهم. فالمصلي في هذه الحال يكون غافلاً غير متنبّه ومتيقّظ لما يؤدي وما يردّد من أذكار وأدعية وآيات قرآنية، وهو مشغول الذهن ومصروف عن الصلاة، ويعيش في عالمٍ آخر. والله العالم[2].

---

(١) سورة الماعون، الآية: ٥.

(٢) يشرح السيد الطباطبائي الآية بقوله: «﴿سَاهُونَ﴾: أي غافلون لا يهتمّون بها، ولا يبالون أن تفوتهم بالكلية أو في بعض الأوقات أو تتأخر عن وقت فضيلتها، وهكذا». انظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ج٢٠/ ٤٢٦.

تحديد أوقات الصلوات اعتمادًا على النص القرآني

■ تفضلتم بالإشارة إلى أن أوقات الصلاة هي ثلاثة، وليست خمسة كما يذكرها إخواننا من أهل السنّة، وذلك استنادًا إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾، ويبدو أن ذلك خلاف ما تذكره بعض المصادر التفسيرية التي تستند إلى بعض الروايات عن أهل البيت، حيث تفسّر عبارة: ﴿كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ باللزوم ووجوب أداء الصلاة، لذا نرجو منكم توضيح معنى الآية وعلاقته بتحديد الأوقات.

□ عندما أشرتُ ـ أثناء المحاضرة ـ إلى أن أوقات الصلاة ثلاثة، إنما اعتمدتُ على بيان الآية الكريمة: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾. إذ إنّ تقسيم أوقات الصلاة فيها إلى ثلاثة أمرٌ واضح ولا يحتاج إلى مزيد بيان. وفي الدراسات الفقهية، يشار هناك إلى أن الفقيه في استنباطه للحكم الشرعي يعتمد على مصادر التشريع لديه، وهي: الكتاب (القرآن الكريم) والسنة والإجماع والعقل. وفي حال كان هناك مصدران للحكم الشرعي أو أكثر، يقدّم الدليل القرآني على ما سواه من بقية المصادر. وما يُذكر بشأن هذه المسألة هو أن الآية واضحة في بيان المعنى. ولأنها آية قرآنية، تقدّم على ما سواها من الأدلة من الروايات وأدلة الإجماع، وبخاصّة أن هناك العديد من الأحاديث المروية في مصادرها السنية تشير إلى أن النبي جمع بين الظهرين والعشاءين غير مضطرّ لذلك. ومن

المصادر الجيّدة التي تناولت هذه المسألة بشيء من التفصيل والإنصاف والعلمية كتاب (فقهيات بين السنة والشيعة) لمؤلّفه عاطف سلام، وهو ليس من أتباع المدرسة الإمامية، حيث بحث فيه مجموعة من الموضوعات الفقهية الخلافية بين المدرستين، ورجع فيها إلى مصادر الطرفين[1].

ويبدو أن من أسباب الخلاف أنَّ النبي ﷺ كان يشغل ما بين وقت صلاتي الظهر والعصر وكذلك ما بين المغرب والعشاء بالذكر والعبادة والنوافل، ما يشكّل حاجزًا فعليًّا بينهما. وقد يكون ذلك أوهم البعض بوجود وقت مخصص لكل من صلاتي العصر والعشاء، وبسببه ظهر الخلاف. وإلاَّ فإن الآية صريحة في بيان أن أوقات الصلوات ثلاثة، وليست خمسة.

صلاة جار المسجد جماعة

■ هل صلاة الجماعة واجبة على جار المسجد؟

□ لم أعثر ـ فيما بين يديّ من مصادر إمامية ـ على قائل بوجوب صلاة الجماعة ولو كان المصلي من جيران المسجد، ذلك أن صلاة الجماعة في الفقه الإمامي من المستحبّات الأكيدة. ويشارك المذهب الإمامي مجموعة من مذاهب أهل السنة، ومن يذهب إلى وجوب الجماعة هم إخواننا من أتباع المذهب الحنبلي، دون فارق بين أن يكون المصلي من

(١) فقهيات بين السنة والشيعة، عاطف سلام، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

جيران المسجد أو من غير جيرانه. نعم، هناك تأكيد في بعض الروايات وحثّ لجار المسجد على أداء الصلاة جماعة، ولكنها تحمل على الاستحباب المؤكّد، وليس على الوجوب.

أثر تأخير الصلاة عن وقتها

■ **هل الإخلال بمكوّنات الصلاة ـ مثل: تأخير أدائها عن وقتها ـ له تأثيره على معطيات الصلاة وآثارها المعنوية على نفس الإنسان؟**

□ الوارد في الروايات أن الإنسان إذا أخّر أداء الصلاة عن وقتها يقلّ ثوابها لفوات وقت الفضيلة ـ كما يسمّى في اللغة الفقهية. كما أن ما تمّت الإشارة من فائدة بخصوص ما يتعوّده الإنسان حول أداء الأمور في أوقاتها قد يظهر أثرٌ سلبي على سلوك الإنسان حينما يكون من أولئكم الذين يتساهلون في أداء الصلاة في أوقاتها، بحيث يتساهل في الوفاء للآخرين وأداء ما يُطلب منه من أعمال في أوقاتها المحدّدة والمتفق عليها. إذ إن عدم التقيّد بالوقت يصبح عادةً لديه حينها.

ثبت المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. أسرار الصلاة، الميرزا جواد الملكي التبريزي، دار الكتاب الإسلامي ـ طهران، بدون تاريخ.
٣. أسرار الصلاة: خاصّ بالشباب، الشيخ محسن قراءتي، ترجمة: حسن الحلي، بدون ناشر، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٤. الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة: عرضٌ وتحليل، الشيخ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، مؤسسة الفرقان الإسلامي ـ لندن، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة ـ بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٦. الأمير تشارلز يتحدّث، إعداد وتحرير: ديفيد كادمان، ترجمة: سهيل بشروني، دار الساقي ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٧. تفسير من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك ـ بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٨. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، الدكتور شمس

الدين الأفغاني، دار الصيمعي ـ الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٩. صلاة الجماعة: بحث فقهي اجتماعي، الشيخ حسن موسى الصفار، دار المحجة البيضاء ـ بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
١٠. الفتاوى الواضحة وفقًا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، المؤتمر العالمي للشهيد الصدر ـ قم، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
١١. فقهيات بين السنة والشيعة، عاطف سلام، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٢. عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: الحاج آغا مجتبى العراقي، تقديم: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، سيد الشهداء ـ قم، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٣. الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم، ط٥، ١٣٦٣هـ. ش.
١٤. مبادئ علم الفقه، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى ـ بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
١٦. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المعرفة ـ بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
١٧. معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق:

الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ـ بغداد، ط ١٩٨٥م.
١٨. مهذّب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤هـ)، مكتب السيد السبزواري ـ قم، ط٤، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٩. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٠. الندوة: سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق، السيد محمد حسين فضل الله، إعداد: عادل القاضي، دار الملاك ـ بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٨م.
٢١. نظرة عامّة في العبادات، السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، المؤتمر العالمي للسيد الصدر ـ قم، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
٢٢. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، جمع: الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة ـ بيروت، بدون تاريخ.

المحتويات

الصلاة

في أبعادها الفردية والاجتماعية

في الوقت الذي تشدّ فيه المادةُ الإنسانَ إلى ذاته وتمحوره حولها، تساهم العبادات الإلهية في تعلّق الإنسان بالمطلق تعالى وتعلو به إلى مراقي الكمال وتسمو به إلى المراتب العلى. وبجانب ذلك، للعبادات دورها في تزكية النفس وتصفيتها، بحيث تبقى في الإنسان تلكم الحال الطاهرة النقية التي يرقّ فيها لأخيه الإنسان ويتحسّس آلامه ومعاناته، وتتعزّز لديه حالة الشوق الإلهي، ويتلذّذ بحالات المناجاة والدعاء والحديث مع البارئ جلّ وعلا.

وهذه جوانب تختزنها العبادات في الشريعة الإسلامية، وبجانبها العديد من الأبعاد التي تتكفّل صفحات الكتاب ببيان بعضها، مخصّصةً الحديث حول فريضة الصلاة في الإسلام. حيث يمثّل الكتاب تحريرًا لمحاضرة ألقاها سماحة العلاّمة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (ره) بعنوان: «الآداب المعنوية للصلاة»، قسّم فيها أبعاد الصلاة إلى قسمين، الفردية والاجتماعية، ممهّدًا لذلك بالإشارة إلى نبذة تاريخية عن عبادة الصلاة في التشريعات الإلهية وغير الإلهية.

منشورات بيت الحكمة الثقافي